

GILBERT DELAHAYE - MARCEL MARLIER
تولين
تُضيع كلبها
RABIE
casterman

GILBERT DELAHAYE
MARCEL MARLIER

تولين

تُضيع كلبها

جيلبير دولاهاي
مرسيل مرليه

نقلها إلى العربية
سهيل مقل





casterman

تُقيمُ تولينُ في مَبنىً تُحيطُ بِهِ الخُضرَةُ مِنْ كُلِّ جانبٍ ، هي تسكُنُ شقّةً في الدَّورِ الثّالِثِ ، وأمّا صَديقُها دانـي ففي الدَّورِ الرّابِعِ .

ويُطِلُّ المَبنى على فُسحَةٍ لتَوقُّفِ السيّاراتِ وفيها مَقاعِدُ ، حيثُ اعتادَ الأولادُ أن يلعَبوا . فهذا يركَبُ درّاجَتَهُ ، وتِلكَ تَتزَلّجُ بالزُّحلوقَةِ ذاتِ العَجَلاتِ ، وأُولئِكَ يلعَبونَ بالكُرَيّاتِ الزُّجاجِيَّةِ .

وفيما الأولادُ يجتَمِعون في بَهوِ البنايةِ ، حَضَرَ ساعي البَريدِ ، وراحَ يُوَزِّعُ الرَّسائلَ على الصَّناديقِ . قالَ دانـي : ألا نلعَبُ في الخارِجِ لُعبَةَ الهُنودِ ! أعلَنَتْ تولينُ تَرحيبَها بالفِكرَةِ قائلةً : لِيكُنْ ، وإنّما عليَّ استِئذانُ أُمّي أوّلاً .. أنا لا أستطيعُ بُلوغَ الهاتِفِ الدّاخِليِّ ، فلتُساعِدْني يا جادُ .



وجاءَها الرَّدُّ بالمُوافقَةِ ، لكنَّ والِدَتَها ذَكَّرَتْها بِضَرورَةِ أن تَنتَبِهَ لطبّوشٍ . وعلى الفَورِ ، طَفِقَ الأَصدِقاءُ يَتوزَّعونَ الأدوارَ ، ويقولُ جادٌ : أنا الهِندِيُّ المِقدامُ . وتقولُ تولينُ : وأنا ذاتُ العَينَينِ الثّاقِبَتَين ، ثم تُضيفُ : وأما أنتَ يا داني ، فستكونُ راعيَ البَقَرِ الأسرَعَ من وَميضِ البَرقِ .

وفيما هُم مُنشَغِلونَ بتَنظيمِ لعُبَتِهِم المُثيرَةِ ، وإذا بِجَلَبَةٍ مَصدَرُها الجِوارُ ، فما عَساها أن تكونَ ؟



إنَّها مُشاجَرَةٌ عَنيفَةٌ بينَ قِطَّتينِ مُتَشَرِّدَتَين ، رافَقَها مُواءٌ حادٌّ وصاخِبٌ . لم يَتمالَكْ طبّوشٌ نَفسَهُ ، وأبى إلاَّ أن يُلبِّيَ نِداءَ غَريزَتِهِ ، وراحَ يركُضُ في أثرِهِما كالمَجنونِ .

وصَرَخَتْ بِهِ تولينُ : تَوَقَّفْ في الحالِ يا طبّوشُ ، تَوَقَّفْ .

أُصيبَتِ القِطَّتانِ بِهَلَعٍ شَديدٍ ، فوَلَّتا هارِبتَين .

ولما أصَمَّ طبّوشٌ أذُنَيهِ عن سَماعِ أوامِرِ سَيِّدَتِهِ ، اضطُرَّ الأولادُ للمُشارَكَةِ في المُطارَدَةِ . واجتازَ المُتَطارِدونَ أرضاً غيرَ مأهولَةٍ ، وُصُولاً إلى مَكانٍ يَجري فيه تَشييدُ مَبنىً جَديدٍ .





قالَ رئيسُ العُمَّالِ للأولادِ : أنصَحُكُم يا أعزّائي بالابتِعادِ ، فالمَكانُ غيرُ آمنٍ .
وبالفِعلِ ، هُناكَ جرَّافةٌ ضَخمةٌ تجرُفُ التُّرابَ ، ومِدحَلَةٌ لتسويَةِ الأرضِ ، فَضلاً عن شاحِنَةٍ تُحَمَّلُ بالرُّكامِ . ولما اقترَبَتِ الجرّافَةُ منهُمْ ، أرادَ الأولادُ اجتِنابَها ، وانشَغَلوا عن تَتَبُّعِ طَبّوشٍ ، فاختَفى هو وطَريدَتاهُ القِطَّتان عن أنظارِهِم . سوف يتوهُ لا مَحالَةَ .
وحينَ أوقفَ العامِلُ الحفَّارةَ الهَوائيَّةَ ، لأنَّها تُحدِثُ ضَجيجاً هائِلاً ، تساءَلَتْ تولينُ : أرأيْتَ أينَ ذَهَبَ كَلبي الصَّغيرُ ؟ تَلَفَّتَ الرَّجُلُ بوجهِهِ ، ثمَّ أشارَ بيدِهِ ، وقالَ : لقد ذهبَ هو والقِطَّتانِ في هذا الاتِّجاهِ .



الجِهَةُ الَّتِي أشارَ إليها العامِلُ هي وَسَطُ المَدينَةِ ، حيثُ الشَّوارِعُ العَظيمَةُ ، والمُشاةُ ، والسَّيّاراتُ ، والحافِلاتُ ، وإشاراتُ المُرورِ عِندَ تَقاطُعِ الطُّرُقِ .

كيفَ السَّبيلُ لإيجادِ طبّوشٍ في هذا الزِّحامِ ؟ لَعَلَّ البَحثَ عن إبرَةٍ في كَومَةٍ مِنَ القَشِّ أيسرُ مِنَ التَّفتيشِ عنهُ .

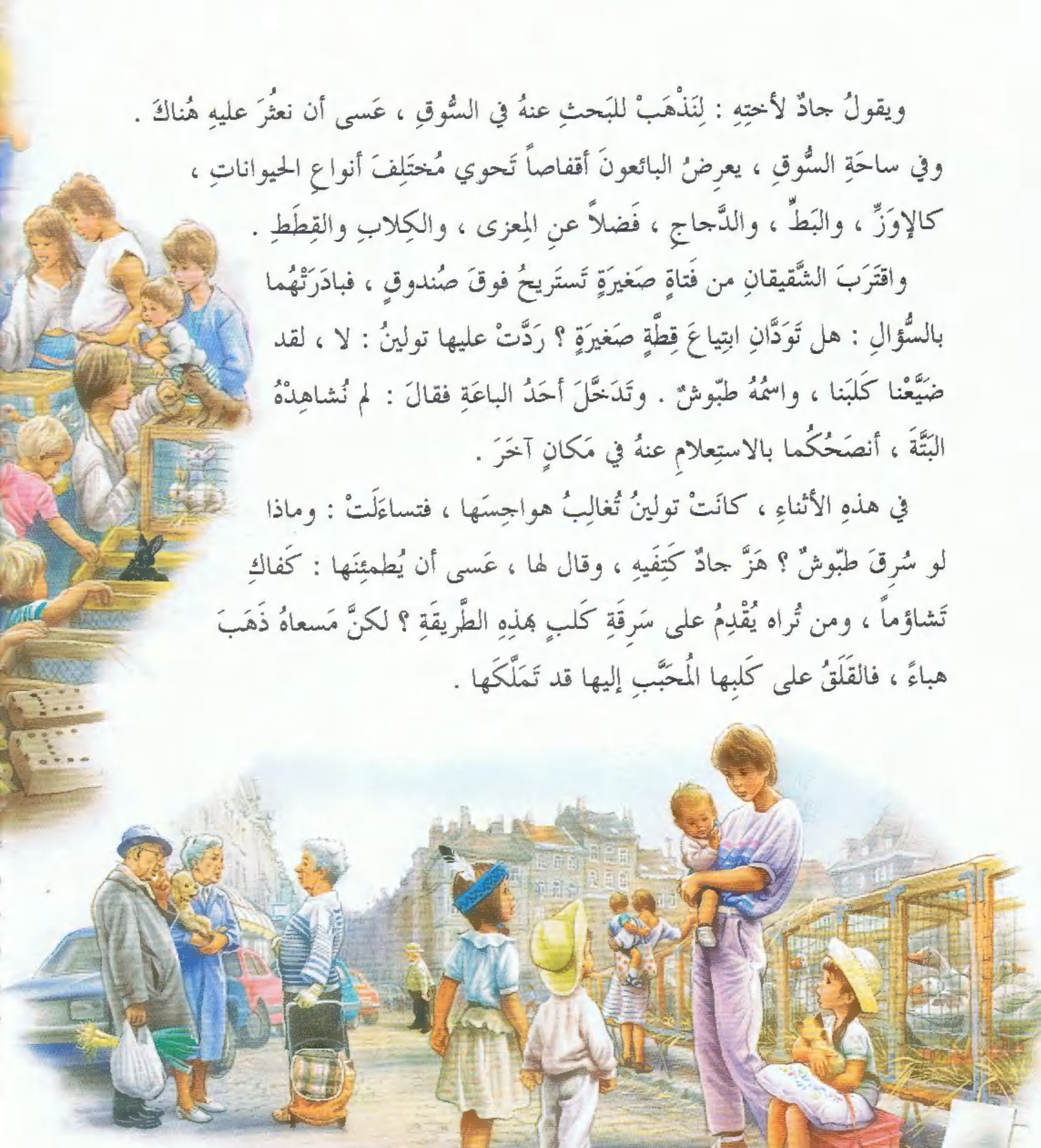
وبرَغمِ ذلكَ ، أنّى لتولينَ أن تَتَخلّى عنهُ ؟ وحِرصاً على سلامَتِهِم ، لم يَعبُرِ الأولادُ الشّارِعَ ، لأنَّ إشارَةَ المُرورِ حَمراءُ .



وأومَضَ الضَّوءُ الأخضَرُ إيذاناً بمُرورِ المُشاةِ ، فعَبَرَتْ تولينُ وجادٌ وداني الشَّارِعَ من المَمَرِّ الآمِنِ المُخَصَّصِ للمُشاةِ . ثَمَّةَ حادِثُ اصطِدامٍ قد وَقَعَ تَوّاً .

وتقولُ تولينُ : سوفَ أسألُ شُرطِيَّ المُرورِ إذا كانَ طبّوشٌ ... ؟ قاطَعَها جادٌ : لا يا تولينُ فهو مُنشَغِلٌ بكتابَةِ الضَّبطِ . يجبُ علينا عَدَمُ إضاعَةِ الوَقتِ .

– أخشى أن يهلَكَ طبّوشٌ تحتَ عجلاتِ سيّارَةٍ .



ويقولُ جادٌ لأختِهِ : لِنَذْهَبْ للبَحثِ عنهُ في السُّوقِ ، عَسى أن نعثُرَ عليهِ هُناكَ .
وفي ساحَةِ السُّوقِ ، يعرِضُ البائعونَ أقفاصاً تَحوي مُختَلِفَ أنواعِ الحيواناتِ ، كالإوَزِّ ، والبَطِّ ، والدَّجاجِ ، فَضلاً عنِ المِعزى ، والكِلابِ والقِطَطِ .

واقتَرَبَ الشَّقيقانِ من فَتاةٍ صَغيرَةٍ تَستَريحُ فوقَ صُندوقٍ ، فبادَرَتْهُما بالسُّؤالِ : هل تَوَدَّانِ ابتِياعَ قِطَّةٍ صَغيرَةٍ ؟ رَدَّتْ عليها تولينُ : لا ، لقد ضَيَّعْنا كَلبَنا ، واسمُهُ طبّوشٌ . وتَدَخَّلَ أحَدُ الباعَةِ فقالَ : لم نُشاهِدْهُ البَتَّةَ ، أنصَحُكُما بالاستِعلامِ عنهُ في مَكانٍ آخَرَ .

في هذهِ الأثناءِ ، كانَتْ تولينُ تُغالِبُ هواجِسَها ، فتساءَلَتْ : وماذا لو سُرِقَ طبّوشٌ ؟ هَزَّ جادٌ كَتِفَيهِ ، وقال لها ، عَسى أن يُطمئِنَها : كَفاكِ تَشاؤماً ، ومن تُراه يُقْدِمُ على سَرِقَةِ كَلبٍ بِهذِهِ الطَّريقَةِ ؟ لكنَّ مَسعاهُ ذَهَبَ هباءً ، فالقَلَقُ على كَلبِها المُحَبَّبِ إليها قد تَملَّكَها .



وحينئذٍ اقتربَ منهُما صَبيٌّ ، كانَ قد سَمِعَ ما دارَ بينَهما ، فسألَهُما : أتبحثانِ عن كَلبٍ صَغيرٍ ؟ لقد رأيتُهُ تَوّاً في حَيِّ النُّبلاءِ .

– وأينَ يَقعُ حَيُّ النُّبلاءِ ؟

– تذهبانِ يَساراً ، ثمَّ تنعَطِفانِ نَحو اليَمينِ ، وُصُولاً إلى الحَيِّ الثاني . هيَّا أسْرِعا ، لتُفلِحا في اللَّحاقِ بِهِ .



وكادَتْ تولينُ أن تَهتَدِيَ إلى كَلبِها ، لولا أنَّ المُصادَفَةَ قد حالَتْ دونَ ذلِكَ ، لأنَّ طبّوشاً ما بَرِحَ يتراكَضُ هائِماً على وَجهِهِ ، حتَّى ابْتَعد كثيراً ، فتلاشى أيُّ أمَلٍ في العُثورِ عليه . لقد أخذَتْهُ وَحشَةٌ في هذا الحَيِّ ، فهو لا يعرِفُ أحداً . ولمَّا رَغِبَ بعضُ الأولادِ في مُلاعَبَتِهِ ، لم يُرَحِّبْ بِمُبادَرَتِهِم ، لأنَّهُ يُريدُ العَودَةَ إلى المَنزِلِ .

ويبدو أنَّ رَجُلاً عَجوزاً قد رَقَّ له قَلبُهُ ، فسألَهُ : إلى أينَ تذهَبُ أيُّها الكلبُ الصَّغيرُ ؟ وكيفَ لطبّوشٍ أن يُجيبَهُ عَمَّا سألَ ، وهو نفسُهُ لا يدري أينَ يَتوَجَّهُ !



وتساءَلَ جادٌ : أتراهُ قَصَدَ سوقَ (البَراغيثِ) حيثُ تُباعُ السِّلَعُ القَديمَةُ ؟ ..
وقالَ داني : ألا نستأجِرُ عَرَبَةً لمتابَعَةِ البَحثِ ، حتَّى نُوَفِّرَ على أنفُسِنا المَزيدَ من العَناءِ . فأتاهُ الرَّدُّ حاسِماً وسريعاً : لا طاقَةَ لنا على دَفعِ أُجرَتِها يا صديقي !



وتَتكَهَّنُ تولينُ فتقولُ : لرُبَّما نَزَلَ إلى مَحَطَّةِ (المِترو) ، حيثُ تسيرُ قِطاراتٌ تحتَ الأرضِ .

– ولماذا يذهبُ إلى هُناكَ ؟ وتقول تولين : لستُ أدري ، إنَّما لُنلقِ نَظرَةً .

وإلى مَحَطَّةِ القِطارِ يتوافَدُ النَّاسُ زُرافاتٍ وَوِحدانا ، فيما القِطاراتُ السَّريعَةُ تَنطَلِقُ تِباعاً إلى مُختَلِفِ الجِهاتِ ، هادِرَةً كالرَّعدِ . ويقولُ داني لتولينَ مُتَبَرِّماً : لنَخرُجْ مِنْ هُنا ، لطالما رأيْتِ بأمِّ عَينيكِ أنَّ طبّوشاً غيرُ موجودٍ .



لقد اشتَدَّ القَلَقُ بتولينَ ، وبدأَ اليأسُ يغزو قَلبَها فتقولُ : لقد ذَهَبَ سَعيُنا أدراجَ الرِّياحِ ، أرى أن ننصَرِفَ عَنِ البَحثِ . ويقولُ جادٌ : دعونا نُعَرِّجْ على شارِعِ المَقاهي ، فقد نلقاهُ فيهِ . وهاكُمُ الحَديثَ الَّذي دارَ بينَ جادٍ وسيِّدَتَينِ تجلسانِ في المَقهى :

– أرجو أن تعذِراني ، فأنا أقطَعُ عليكُما الحَديثَ . أرأيتُما كَلبَنا ؟ إنَّه صَغيرُ الحَجمِ ، ذو قوائمَ قَصيرَةٍ ، وأذُنَينِ طَويلَتَينِ .

– هل لونُهُ ضارِبٌ إلى الحُمرَةِ ؟

– هو كذلِكَ يا سيِّدَتي .

– أعتَقِدُ أنّي رأيتُهُ مُنذُ بعضِ الوَقتِ ، يَشرَبُ مِنَ النَّبعِ .



تبّاً لقد بارَحَ طبّوشُ النّبعَ . ويقولُ جادٌ : لا جَدوى من مُتابَعَةِ البَحثِ ، خُصوصاً وقدِ ابتَعَدْنا كثيراً عنِ المَنـزِلِ . وتقـولُ تولينُ : ثَمَّةَ بَثرَةٌ مَلأى بالماءِ في قَدَمي ، تُسَبِّبُ لي ألَماً شديداً .

– لنستَرِحْ قليلاً .

وفيما النَّبعُ يَتَفَجَّرُ ماءً ، راحَ فنّانٌ يرسُمُ على الأرضِ بالطَّباشيرِ .

فما كانَ من الهُنودِ الصِّغار إلا أن نَزَعوا أحذيَتَهُم ، لأنَّهُم في غايَةِ الإعياءِ ، وتَتَساءَلُ تولينُ : أنَّى لنا أن نعودَ إلى المَنزِلِ ؟

رَدَّ جادٌ قائلاً لها : لنُجرِ مُكالَمَةً هاتِفيَّةً ، فيَحضُرَ والِدُنا ليُعيدَنا إلى المَنـــزِلِ بِسيَّارَتِهِ .

– لكنَّ السَّيّارَةَ مُعَطَّلَةٌ ، ولم يَتِمَّ بعدُ إصلاحُها .

– لنَركبِ الحافِلَةَ ، فما زالَ في حَوزَتي بعضُ المالِ .

– وأنا أيضاً .. لَدَينا إذاً ما يَكفي من المالِ للعَودَةِ إلى المنـــزِلِ . المَوقِفُ لا يبعُدُ أكثَرَ من مِئتَي مِترٍ . لقد حالَفَنا الحَظُّ هذهِ المَرَّةَ ، هي ذي الحافِلَةُ في طَريقِها إلينا .



وأخيراً وَصَلَ الأولادُ إلى المَنـزِلِ بعدَ عَنـاءٍ طَويلٍ . كانَ والِدُ تولينَ ينتَظِرُ عَودَةَ وَلَدَيهِ ، وقدِ استَبَدَّ بِهِ القَلَقُ ، وعلى الفَورِ ، أمطرَهُما بِوابِلٍ من الأسئلَةِ : أينَ كُنتُما ؟ لماذا تأخَّرتُما ؟ أخبِراني ، ما الَّذي حَصَلَ لكُما ؟ أجابَتْهُ تولينُ ، والأسى بادٍ في مُحَيَّاها : فيما كُنَّا نلعَبُ ، فَرَّ طَبّوشٌ ، فتَتَبَّعناهُ حتَّى وَصَلنا إلى المَدينَةِ ، وهُناكَ فَقَدناهُ .



– اطمَئنّي يا بُنَيَّتي ، فلا بُدَّ أن نعثُرَ عليه ... إنَّما لِمَ أنتِ حافِيَةٌ ؟
– لأنَّ حِذائي يَتَسَبَّبُ لي بألَمٍ شَديدٍ في قَدَمَيَّ ، فآثَرْتُ أن أخلَعَهُ .



وتَهالَكَتْ تولينُ على مَقعَدٍ ، فالتفَّ الأولادُ حَولَها ، مُعلِنينَ تَعاطُفَهُم مَعَها . قالَ لها أحَدُهُم : أأضَعْتِ كَلبَكِ ؟ وتساءَلَ آخَرُ : كيفَ حَدَثَ ذلكَ ؟ يُفتَرَضُ بِكِ أن تكوني أشَدَّ حِرصاً عليهِ . وطَفِقَتْ تولينُ تبكي ، لأنَّ غِيابَ كَلبِها أشجاها ، فقالَ لها صَبيٌّ مُمتَطِياً دَرَّاجَتَهُ : سأجولُ بدَرَّاجَتي للبَحثِ عن طَبّوشٍ ، سوفَ أجِدُهُ ، أتُراهِنينَ ؟

- دَعْها وشأنَها يا صَديقي ، ألا تَرى كم أحزَنَها ضَياعُ كَلبِها ؟

وزَحفَ اللّيلُ على المَدينةِ ، فأُضيئَتِ اللافِتاتُ ، وتلألأت أنوارُ المَنازِلِ . وفيما إشاراتُ المُرورِ الحَمراءُ والخَضراءُ تُومِضُ ، كانتِ الشّوارِعُ تَعُجُّ بالسّيّاراتِ ، فتنعَطِفُ تارَةً نحوَ اليمينِ ، وطَوراً نحوَ اليَسارِ ، وتَتَقاطَعُ أحياناً . وها هي ذي تولينُ تُفكِّرُ في كَلبِها التّائِهِ مُغتَمَّةً ، وتَهمِسُ في أعماقِها : هل سيُمضي اللّيلَ خارِجَ المَنزِلِ ؟ تُرى ، هل سيجدُ مَنْ يُقَدِّمُ لَهُ الطّعامَ ؟

وهيَ غارِقَةٌ في أفكارِها ، قُرِعَ البابَ ، فمنْ عَساهُ يكونُ ؟





إنَّه حارِسُ الحَيِّ بِلباسِ الرِّياضَةِ ، وطبّوشٌ بين ذِراعَيهِ .

قالَ الرَّجُلُ : بعدَ أن أنهَيْتُ عَمَلي ، ذَهَبْتُ لأتَدَرَّبَ ، فصادَفْتُ طبّوشاً ، وأدرَكْتُ أنَّهُ تائِهٌ ، أخذتُهُ إلى مَنْزِلي ، وقدَّمتُ لهُ الطَّعامَ والشَّرابَ ، وتابعَ ناصِحاً : الأفضلُ أن تزوِّدوهُ بطَوقٍ يحمِلُ عُنوانَكُم .

أجزَلَتْ تولينُ الشُّكرَ للرَّجُلِ ، وقد اطمأنَّ فؤادُها . وكادَ طبّوشٌ أن يطيرَ فَرَحاً ، لما ضَمَّتْهُ تولينُ إلى صَدرِها . لكنَّ فَرحَتَهُ لم تَدُمْ طويلاً ، لأنَّ تولينَ عَبَّرَتْ لَهُ عَنِ استيائها مِنْ فِعْلَتِهِ .

www.rabie-pub.com
Published by Rabie Publishing House   Syria , Aleppo
P.O.Box : 7381   Tel : +963 21 2640151   Fax : 2640153
E-mail : rabie@rabie-pub.com
In cooperation with CASTERMAN , Belgium .
ISBN 2-203-10136-9   ISSN 0750-0580





① CM1-36
ISBN 2-203-10136-9
6 214001 440367